مرحلة الانتقام

حرب اليمن

قامت ثورة اليمن [1] وأعلنت مصر دعمها العسكري والاقتصادي لعبد الله السلال قائد الحرس الملكي الذي حاول القيام بانقلاب على الأمام البدر فأرسلت ما بين ٥٠ – ٧٠ ألف جندي مصري ليحابوا مع قائد الانقلاب، بينما أخذ الملك سعود في دعم النظام الملكي القديم ماديّاً ومن ورائه أمريكا تبعث إلى اليمن بالجنود المرتزقة الذين جرى نقلهم من الكونغو . وبدأ عبد الناصر يشعر أن أمريكا تهدف لأن يستمر التورط المصري في اليمن لمصلحة إسرائيل مما زاد القطيعة والعداء بينهما .

يقول عبد الناصر في إحدى خطبه : " النهارده لازم كل عربي يعرف مين هو العدو، ومين هو الصديق، إذا ماكناش حنعرف أعداءنا ونعرف أصدقاءنا، ونعامل أعداءنا على أنهم أعداء، ونعامل أصدقاءنا على أنهم أصدقاء؛ تستطيع إسرائيل أن تستفيد دائماً من هذا التصرف. من الواضح أن أمريكا هي عدو للعرب؛ لأنها تنحاز إلى إسرائيل انحياز كامل، من الواضح أن بريطانيا هي عدو للعرب؛ لأنها تنحاز إلى إسرائيل انحياز كامل، وعلى هذا الأساس يجب أن نعامل أعداءنا، أو اللى بياخدوا جانب أعدائنا على أنهم أعداء حقيقيين لنا، ونحن نستطيع أن نعاملهم؛ لأن احنا فعلاً ما احناش دول مالهاش قيمة احنا دول لها قيمة، ودول في مكان مهم فى العالم، ودول عندها حضارة آلاف السنين؛ ٧٠٠٠ سنة من التاريخ، فعلاً نستطيع ان احنا

---

(1) راجع " ثورة اليمن " في كتابنا " إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي " دار زهور المعرفة والبركة .

نعمل كتير، ونستطيع ان احنا نكشف النفاق؛ نفاق أعدائنا، أما حاولوا يكلمونا على أساس انهم يريدوا مصلحتنا؛ أمريكا لا تريد إلا مصالح إسرائيل، بريطانيا لا تريد إلا مصالح إسرائيل. " [1]

ولعل انهيار العلاقة بين عبد الناصر وجونسون (الذي خلف كيندي) كانت من أهم أسباب نكسة ١٩٦٧، يقول هيكل : "عبد الناصر كان يحس بنفور طبيعي تجاه ليندون جونسون فلولا هذا النفور الطبيعي لاستطاع عبد الناصر أن يقيم علاقات طيبة (أو على الأقل طبيعية) مع جونسون، ولَمَا حدث من جونسون ما يجعله جديراً بتلك الكراهية . "

قطع أمريكا معونة القمح عن مصر

في نوفمبر عام ١٩٦٤ دار حديث بين السفير الأمريكي " لوسيوس باتل " وكمال ستينو وزير التجارة والتموين المصري حول شحنات القمح الأمريكية إذ شكا باتل من جحود المصريين الواضح إزاء المعونة الأمريكية التي تقدر بملايين الدولارات الأمر الذي ينم ، على حد تعبيره ، عن افتقار مؤلم للأخلاق الحميدة ، وعندما وصل محضر مقابلة ستينو إلى مكتب عبد الناصر الذي لم يكن في أفضل حالاته بعد جدل مع عبد الحكيم عامر حول اليمن تفجر غضبه واستياؤه.

وانتهز أول فرصة للرد فقال في خطاب ألقاه في بورسعيد " احنا بناخد من الأمريكان قمح، لازم نعرف المواضيع بالمفتوح، قمح، ولحمة، وفراخ، ما بناخدش مصانع، والله أبداً يعنى ما بيدوناش مصانع، بيدونا بحوالى ٥٠ مليون جنيه في السنة، احنا ميزانيتنا فى السنة ١١٠٠ مليون جنيه، بنصرف على الخطة حوالى ٤٠٠ مليون جنيه أو ٥٠٠ مليون جنيه؛ إذا دعى الأمر ان احنا نوفر الـ ٥٠ مليون جنيه بنوفرها على الجزمة، ولا بتهمنا والله العظيم.

([1]) من خطاب جمال عبد الناصر في أعضاء المجلس المركزي لاتحاد نقابات العمال العرب ١٩٦٧/٠٥/٢٦. راجع خطب عبد الناصر على موقعه الرسمي على الإنترنت .

ليه أنا باقول هذا الكلام؟ أنا باقول هذا الكلام النهارده بمناسبة امبارح السفير الأمريكى قابل نائب رئيس الوزارة للتموين وراح عنده مقموص وزعلان وقعد عنده دقيقتين، وكان مفروض حيكلمه على التموين – المواد التموينية اللى احنا بنجيبها من أمريكا حسب قانون الحاصلات – وقال له والله إن أنا ما باقدرش أتكلم أبداً دلوقت فى هذا الموضوع.. ليه؟ لأن سلوكنا يعنى – احنا – هنا فى مصر مش عاجبهم. أنا باقول له هنا اللى سلوكنا مش عاجبه يشرب.. يشرب منين؟ (وترد الجماهير من البحر) يشرب من البحر وإن ماكفهوش... وقلت هنا اللى ما يكفيهوش البحر الأبيض بندى له البحر الأحمر يشربه كمان! .. اللى بيكلمنا أى كلمة بنقطع له لسانه؛ كده كلام واضح وكلام صريح . " [1]

ولم يكتف عبد الناصر في هذه الخطبة بالحديث عن الأمريكان بلغة بذيئة "المعونة الأمريكية على الجزمة ، السفير الأمريكي مقموص وزعلان ، ويشرب من البحر ، بنقطع لسانه " ولكنه راح يكيل المديح للسوفييت .

" ونحن لن ننسى أبداً السد العالي وسيبقى هذا السد على مر الأيام وعلى مر العصور رمزاً للصداقة العربية – السوفيتية؛ الصداقة المنزهة عن الغرض، والصداقة المنزهة عن الهوى.. الصداقة من أجل المثل العليا، والصداقة من أجل المبادئ. وقد رأينا كيف استطاع العمال السوفييت في أسوان في درجة الحرارة العالية إنهم يتحملوا الحر الشديد من أجل أن يقوموا بهذا العمل الكبير والعمل الضخم الذي تعهد الاتحاد السوفيتي بأن يتعاون معنا في إنشائه.. لن ننسى أبداً هذه الصداقة، وباسمكم وباسم شعب الجمهورية العربية المتحدة أحيى الاتحاد السوفيتي، وأحيى حكومة الاتحاد السوفيتي، وأحيى وفد مجلس السوفييت الأعلى الموجود معنا اليوم في هذا المكان، ويسعدنا أن يشاركونا في أعياد النصر وفى احتفالنا بأعياد النصر. " [2]

([1]) من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى احتفالات بورسعيد بعيد النصر ١٩٦٤/١٢/٢٣ . راجع خطب عبد الناصر على موقعه الرسمي على الإنترنت .

([2]) نفسه.

وبعد يومين من هذا الخطاب أسفرت المظاهرة التي قام بها الطلبة الأفريقيون في القاهرة احتجاجاً على السياسية الأمريكية في الكونغو عن إحراق مكتبة مركز الاستعلامات الأمريكي ، وبعد ثلاثة أسابيع أسقطت مقاتلة مصرية طائرة تابعة لإحدى شركات البترول الأمريكية بالقرب من الإسكندرية نتيجة لخلاف حول التصريح للطائرة بالتحليق فوق مصر . لذلك عندما انتهى أجل اتفاقية شحنات القمح التي تم التفاوض بشأنها مع حكومة كنيدي ، وهي ثلاثة سنوات ، في يوليو عام ١٩٦٥ لم يكن هناك حماس كبير في واشنطن لتجديدها.

واستطاع عبد الناصر أن يحصل على بعض الشحنات من الحبوب من روسيا والصين . ولكن نظراً لأن مصر كانت ، في تلك المرحلة ، تعتمد على أمريكا في الحصول على ٥٠ % من وارداتها من القمح فقد أصبح النقص في أواخر الصيف خطيراً ، ومع ذلك عندما تولى زكريا محيي الدين الذي كانت واشنطن تعتبره موالياً لأمريكا رئاسة الوزراء خلفاً لعلي صبري في أكتوبر ١٩٦٥ طرأ تساهل واضح في موقف أمريكا تجاه مصر وفي ٣٠ نوفمبر وافقت الولايات المتحدة على تزويد مصر بشحنة أخرى من القمح قيمتها عشرون مليون جنية وبذلك بلغ مجموع قيمة المواد الغذائية التي قدمتها أمريكا بالعملة المصرية منذ عام ١٩٦٢ ما يقرب من ٢٨٥ مليون جنيه إسترليني .

بيد أن الاتفاقية الجديدة كانت محددة بفترة الشهور الستة التالية وعندما حان تجديدها كانت أمريكا وغيرها من الدول المنتجة للحبوب تعاني من نقص خطير في المحصول ومن ثم أرسل الفائض الذي كان موجوداً إلى الهند التي كانت حاجتها أشد من حاجة مصر ، وتعويضاً عن ذلك كانت واشنطن تعتزم ، عندما يعود الوضع إلى طبيعتها ، أن تعرض على المصريين اتفاقية مدتها عامين . ولكن عبد الناصر لم يكن على علم بذلك وقبل أن يستطيع الأمريكيون التقدم بأي عرض ملموس اتهمهم غاضباً بأنهم يمارسون لعبة القط الفأر مع مصر ، وأنهم يحاولون تجويعها لكي

تستسلم وبدلاً من أن ينتظر قيام واشنطن بإرسال شحنات أخرى من الحبوب من مصادر أخرى سحب رسميّاً كافة الطلبات التي قد تقدم بها للحصول على المزيد من المعونة الأمريكية. [1]

قطع عبد الناصر الاتصالات غير الرسمية مع أمريكا

ومرة ثانية لم يكتف عبد الناصر بهذه الإجراءات المعادية للولايات المتحدة بل راح يقطع كل الاتصالات غير الرسمية التي كان يعتمد عليها في تقوية علاقته بالولايات المتحدة ، وتخفيف حالات التوتر في وقت الأزمات .

ولقد حذره مستشاروه من هذا المسلك وفي ذلك يقول ناتنج : " لعل مستشاري الرئيس احتجوا بأنه بقيامه بهذا العمل إنما يخدم مصالح موسكو أكثر مما يخدم مصالح مصر ، وربما حذروه من أن الروس يستغلونه لإبعاد النفوذ الأمريكي عن الوطن العربي في حين أنهم يحافظون على بقاء الباب مفتوحاً أمام المفاوضات التي يجرونها مع واشنطن حول مسائل مثل تجارب الأسلحة النووية حيث تتطلب مصالح روسيا الاتفاق مع أمريكا .. وهكذا أصبح عام ١٩٦٥ نقطة تحول في علاقات مصر مع الغرب لا تقل أهمية عن تلك التي أدت قبل عشر سنوات إلى عقد أول صفقة أسلحة روسية ، ومع أن عبد الناصر لم يقطع العلاقات مع أمريكا كما فعل من قبل مع بريطانيا فإنه قرر أن يوقف كافة الاتصالات مع واشنطن باستثناء الاتصالات الدبلوماسية الرسمية ، والحقيقة أنه أصبح ساخطاً على الأمريكيين بسبب مشكلة القمح ومتشككاً في نواياهم إلى حد أنه انقلب على الشخص (مصطفى أمين) الذي كان قد عينه منذ مدة طويلة كحلقة اتصال خاصة مع وكالة المخابرات الأمريكية وذلك لاستئصال كل أثر لمثل هذه الارتباطات الأمريكية ". [2]

([1]) انتوني ناتنج " ناصر " ترجمة شاكر إبراهيم سعيد مكتبة مدبولي ط٢ ص ٤٢٢ ، ٤٢٣ .
([2]) انتوني ناتنج " ناصر " ترجمة شاكر إبراهيم سعيد مكتبة مدبولي ط٢ ص ٤٢٤ .

جونسون وقرار هدم نظام عبد الناصر

استبد بجونسون رئيس الولايات المتحدة الغضب عندما قال عبد الناصر في إحدى خطبه " لن نقبل أسلوب قطع الطريق من قبل رعاة البقر." وكانت تلك العبارة إشارة بأن القول موجه لجونسون الذي كان من ولاية تكساس المشهورة برعاة البقر. وأحس جونسون أنه أهين شخصياً وفي خطاب علني، وربما كان هذا من الأسباب المباشرة في نصب فخ للإيقاع بعبد الناصر ومحاولة هدم نظامه في ١٩٦٧، فيما عرف فيما بعد كودياً بخطة اصطياد الديك الرومي .

وبدأت أمريكا تزود إسرائيل بالأسلحة المتقدمة، وقامت بخفض أمد اتفاق تزويد مصر بشحنات القمح من سنة لستة أشهر لثلاثة أشهر. ورفض عبد الناصر أن يزور جونسون في ١٩٦٦ ووافق في النهاية أن يبعث بأنور السادات ليقابل جونسون في محاولة لتحسين العلاقات المتدهورة بين البلدين، وكان جونسون ودوداً وقال للسادات أنه يحب مصر ويحب عبد الناصر، وأن ما يحتاجه الطرفان هو الدبلوماسية الهادئة والتوقف عن الهجوم العلني والتجريح الشخصي، واحتواء الخلافات بهدوء. ولكن عبد الناصر كان يرى أنه بينما تمتلك أمريكا القنابل الذرية وحاملات الطائرات والقوة العسكرية، فإن سلاحه الأول كان يكمن في قدرته على تعبئة الجماهير خلفه معنوياً في أوقات الأزمات، فلم تكن الدبلوماسية الهادئة تناسبه، وفي الواقع فإن عبد الناصر لم يستطع في بعض الأحيان أن يتخطى مرحلة القائد الشاب الثائر الذي يلهب حماس الجماهير، ليصبح الرجل السياسي الدبلوماسي المجامل والمداهن، فلم يكن ذلك من طبعه. [١]

وأدرك جونسون أنه لم يعد من سبيل إلا بإسقاط عبد الناصر ونظامه، ولم يكن من الممكن لأمريكا أن تفعل ذلك بصورة مباشرة فتخسر العالم العربي كله للأبد، وتعرض

([١]) د. رءوف عباس موسوعة " ناصر " شركة الأفق للبرمجيات التفاعلية . مرجع سابق .

مصالحها وأصدقاءها في المنطقة للخطر، وفي ١٩٦٧ وفي مقابل أن تقوم إسرائيل بإسقاط نظام عبد الناصر، تعهدت أمريكا أن تحافظ على تفوق إسرائيل عسكريّاً على الدول العربية مجتمعة، كما وعد الأمريكان إسرائيل بأنه في حالة نشوب حرب لن تقوم أمريكا بالضغط على إسرائيل للانسحاب من الأراضي العربية التي تحتلها أثناء القتال مثلما فعل أيزنهاور في ١٩٥٦، بل وأن أمريكا لن تسمح بلوم إسرائيل في الأمم المتحدة. ومنذ ذلك الحين وحتى اليوم تستخدم أمريكا الفيتو ضد أي قرار من مجلس الأمن ضد إسرائيل أو يدينها .[١]

ولعبت أمريكا دوراً مهماً في خداع عبد الناصر قبل الحرب مباشرة، بل واستغلت يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة في حبك المسرحية الخداعية، وعقب النكسة اتهم عبد الناصر جونسون بالتواطؤ مع إسرائيل في عدوانها، وقطع العلاقات الدبلوماسية مع أمريكا وأمر بترحيل جميع الأمريكيين عن مصر .

وأدرك عبد الناصر أنه كان المقصود بصورة شخصية في عدوان يونيو ٦٧، فكان قرار التنحي وتولية زكريا محيي الدين الذي ظن أنه سوف يكون أفضل منه في قدرته على التفاهم مع الأمريكان، وقال: "كانت حجتهم دائماً هي جمال عبد الناصر . هو الذي يثير المتاعب لهم ولأصدقائهم. جونسون كان يقول ذلك." ولكن الجماهير خرجت وأصرت على بقاء ناصر، فلم يتحقق الهدف الرئيسي غير المعلن من العدوان، ولكن خسارة مصر والعرب والقضية الفلسطينية كانت فادحة.[٢]

***

---

(١) د. رءوف عباس موسوعة " ناصر " شركة الأفق للبرمجيات التفاعلية . مرجع سابق .

(٢) لمزيد من التفصيل حول حرب ٦٧ وقصة تنحي عبد الناصر كتابنا " هزيمة ٦٧ وتحديد المسئولية " دار زهور المعرفة والبركة .